- حول المعرض الشخصي السادس للفنان :

صالح الجميعي

"رحلة البعد المقطوع ..."

اللون كوجود يفرض نفسه على لوحة صالح الجميعي، يجد عناصره عبر الفضاءات التي ينصبها لقارئ اللوحة، ويتم له ذلك من خلال البعد الشاحب الكامن تحت كتلة من مشتقات اللون نفسه ؛ ومن ثم من خلال مجموعة الألوان الشاحبة التي لن تفلت من أن تحدث صدمة للناظر في لحظة لقاء غير حقيقي .

هذه المجموعة من الألوان لا تكشف سر وجودها المختبئ تحت بعد يمشي صيغة خط شديد الشحوب يستأنف رحلته من لوحة لأخرى متحدياً رؤيا قارئ اللوحة ؛ وهنا يبدو دوره ، أي القارئ ، كمشارك في عملية الإبداع ، هو الآخر ، لتمكنه من تتبع المُخلّفات الشاحبة للبعد المرتحل من "الأزرق" إلى "البنفسجي" ثم إلى "الأحمر" ، "الأحمر الدامي" ، فـ"البرتقالي" ، أخيراً نحو "الأخضر الشاحب" ، "الأخضر المشرق" .. لكن مايبطل القوة الدرامية لسر الألوان في نفس القارئ المتطلع الرهيف الحس هو مبالغة الرسام وليس إستغراقه فقط في تجسيد أدق تفاصيل اللون ، والتي يغفلها قارئ اللوحة في قراءته الأولى لها ، وعشق اللون بهذا الشكل والذي يصل حد الوجد أحياناً ، وحد الهوس أحياناً أخرى ، هذا العشق ينبع في شد إهتمام القارئ باللون وإعادة قراءة عناصره المتفسخة ..

تقتفي لوحة الجميعي ، عبر عناصرها المتفسخة ،

خط بعد مشوه المعالم يهيئ لرحلة أخرى، مرة باتخاذه هيئة خط يجتاز المساحة الوهمية التي تفصل اللون عن اللوحة، وأخرى يستحيل إلى ضربات لونية مركزة تغمر، وعن نية مبيتة، تفاصيل اللوحة لتمعن في عرقلة العلاقات الطبيعية التقليدية للألوان. ومن خلال هذا "التتبع" الذي لا ينتهي أبداً ما دام "البعد المطمور" تحت كتلة كثيفة من الألوان يظل مستعصي المدمج على القارئ، من خلال ذلك تحاول لوحة الجميعي أن تبرر "إستغراقها" في تأمل أسرار اللون: إنه "الأزرق" الذي يفرض وجوده على: "المطر الفيضي"، "النهر"، "هادئة هي الأنهار". وفي رحلة أخرى يكون "البنفسجي": "الإمتلاك الوحيد"، "السؤال والنجزئة".. وهكذا تستأنف الألوان ومشتقاتها رحلتها....

ينكشف عبث اللون في تأكيد قدرته على إفساد نقاء اللوحة من خلال الضربات اللونية "الوسخة" وهي تجتاز الأزرق النقي إلى الأزرق الداكن، البنفسجي، الأحمر الشاحب، الأحمر الدامي: "أغنيات مقطوعة". ثم تستحيل الألوان إلى كتلة غير نقية لم تعد لها القدرة على إستئناف أدوارها الطبيعية في اللوحة. هذه الألوان تصبح "محطات" لتأمل المسخ الذي إستحال إليه "الخط" الأول، حين يبدو في هيئة "كتابة مغلقة" صعبة القراءة: "أغنيات مقطوعة".

لكن هذا البعد يصبح قاسياً في وضوحه في اللوحات: "الغريق ١"، "الغريق ٢"، "أغنية لشاعر غريب"؛ وحتى هذا لا يحدث إلا بفضل معدن الزنك القاسي.

والقارئ بعد أن تعرف عن كثب على لوحة الجميعي

في رحلتها اللونية، لم تعد له الثقة في اللون النقي المنفصل عن كتلة الألوان المتفسخة: "القادمين ليلاً".

إن القارئ بعد أن فقد ثقته في الهيئة الظاهرية للوحة سيعمد إلى تحليل عناصرها، وسيتصور واهماً أنه إكتشف "البعد المقطوع". ورغم أن اللوحة بشكلها هذا تمنحه فرصة إعادة قراءتها، بعد قراءة عدة قراءاتها الظاهرية والتي لا تفرض قراءة واحدة، إلاّ أن أسئلة تتعبه والأجوبة التي يمكن أن تطمئنه للحظة توحي بوجودها ولكنه وجود شاحب.

تبقى الثقة معلقة بين القارئ واللوحة، حتى بعد إستمالة البعد "المستعصي على القراءة" إلى شخصيات شديدة الشحوب مندثرة تحت كتل الألوان: "الإحتفاء بالذاكرة"، "أجوبة مقطوعة".

إذن لم يعد بإمكان القارئ إلا أن يغذي فكرة وجود بعد خفي تحت البعد الظاهري للوحة، آخذاً بنظر الإعتبار، أن هذا البعد الظاهري يحاول على العكس أن يشكك في صحة البعد الذي أبدعه هو، أي قارئ لوحة الجميعي.

مهند يونس

مترجم عن الإنكليزية
مجلة رأي بغداد (لوبتيون العدد 59)